ومضة

علوية صبح

تقف وسط غرفة زجاجية تتطلع إلى شق البحر من بعيد. انتبه. الغرفة فيما مضى كانت شرفة. صار لها جدران زجاجية. تابع. قل كأنها مكان لا جدوى له. قل هي تقف هنا. جسد اخرس إذا كان لا بد من ذلك. منذ متى تقف هنا وتتطلع للبحر. دعك من السؤال. لا يهم. منذ هنيهة تحسست جسدها كمن يتحسس غيمة. منذ هنيهة ربما لم تكن كذلك. كانت متصلبة امام شاشة التلفاز في غرفة داخل المنزل ورأت دماً. دم ملأ الغرفة وفاض من عينيها. هربت. نفضت مسامير الصلب ودفعتها رياح خواء إلى هنا.

صارت تروح وتجيء. وسط الغرفة الزجاجية و تتطلع إلى شق البحر، ولا تراه في العتمة. حسبت أنها صورة فوتوغرافية للعتمة. راحت تراقب العتمة التي تحاصر المدينة كمن تتطلع إلى مرآة. ضوء القمر العالي وحيد. و كذلك اضواء الأعمدة الكهربائية. لا، قل بعض أضواء ممحية، أو ربما جرذان تعبر الطريق. مواء قطط في ثنايا الاذنين. شبح رنين هاتف. أخرس. أخرس مثل جسدها. أخرس مثل هواء الغرفة. ولكن انتبه. ضوء القمر كان عالياً ووحيداً. وحيداً لانه عالٍ. حاولت ان تتطلع إلى الفضاء لترى شيئاً. لم يكن من داعٍ لذلك. العتمة موصدة. لا. لا صوت البتة. لا جواب لعصفور أو لضوء أو لعتمة. عبثاً، حاولت ان تراقب بريق بريق نجمة واحدة. حاولت أن تتذكر شيئاً، أي شيء. لا يهم. صارت تروح وتجيء لتتذكر أي شيء. كأن مثلاً متى ولدت ومتى عاشت. انتبه. لا تصدق. هي تذكرت انها قد تكون نطفة لم تولد بعد. أو ربما ماتت حين وئدت في مدينة ما منذ أكثر من ألف عام. او ربما ولدت هي والنساء. فوق المدينة او ربما تحتها. في مدن لا يوجد احد فيها. لا تصدق. حاولت ان تتذكر من هي. هل اوَدَت ولدت يوماً. نسيت. متى اجهضت يوماً. لا يهم. تذكرت أنها أولدت في رحم ما، و صار يومها للمدينة شبابيك وعتم أرحام ودفء. أو قل ضوء ارحام. لا فرق. لا فرق.

عبثاً حاولت ان تتذكر من هي. لم تتذكر من حالها سوى بضعة صمت. بضعة خوف أو قدم صغيرة أو كمشة ضحكات. لا تصدق. بدأت تظهر رويداً رويداً ذات يوم داخل جداررحم او جدار غرفة عتيقة لا فرق. ظهرت مثل غصن صغيراو مثل كلمات. لا تذكر أي زمن. لا تصدق.

هي تحاول الظهور فقط كلمة أو ربما فاصلة او شبه جملة. لا، رآها كثيرون عارية الكلمات. تضع ورقة توت الكلمات على عورتها. رآها احد ما خلف باب موصد. لا تصدق. كان يخطر ببالها لو أنها ليست كلمة. لو انها شجرة. أو صوت عصفور. أو صمغ سنديان. أو لون وردة أو هواء أو ربما نملة. من يفتش عن نملة. بلى، كان في تلك اللحظة لديها نملة على الحائط تعبر. من يملكها هي؟ إلى أين تعبر؟

تذكرت انها فكرت بذلك منذ أول الليل تذكر ذلك. انتبه. لا تصدق. منذ هنيهة لم تفكر سوى بأن تراقب الليل. عبثاً تراقب بريق نجمة واحدة. منذ اول الليل وهي تراقب السماء. الغيم بقع رمادية مبعثرة تعبر. غيم كأنه قطيع غنم دون راعٍ شاردة. تمهل. لطفاً. شاردة كما يحلو لها. عيناها فجأة صارتا معصوبتين بغيمة. بغيوم كثيرة. لا فرق. ثم حملتها الغيمة وصارت هناك. منذ متى صارت هناك. منذ هنيهة. منذ زمن بعيد. لا يهم. لا تتذكر. تذكرت فقط قبل ان تكتشف اختفاءها في الغيمة طوال عهود عديدة، إذا ما تساءلت يوماً: ليتني نجمة؟